أثر الذنوب في فقدان الحياة الطيّبة
الإعراض عن الذكر أنموذجًا

الشيخ صباح عباس حسن

باحثٌ وأستاذٌ في الحوزة العلمية / النجف الأشرف

ملخص البحث

يتناول بحثنا الموسوم: (**أثر الذنوب في فقدان الحياة الطيّبة**) موضوعًا من المواضيع التي لها مساس بواقع حياة الإنسان، وما ينتابها من مشاكل ومنغصات يعاني منها في مسيرته التي يعيشها. و تضمّن البحث بعد ذكر مقدمةٍ وتمهيدٍ، المباحث التالية: المبحث الأول: نظرة إلى معنى مفردات العنوان، شرحنا فيه معنى العنوان بشكلٍ مختصر، والمبحث الثاني: الذي خصّص لذكر النصوص المحذّرة من خطورة الإعراض عن الذكر، وأمّا المبحث الثالث: فقد تبلور في ذكر الآثار المترتبة على الإعراض عن الذكر، وكان هدفنا منه هو إثبات فقدان الحياة الطيّبة نتيجة الإعراض عن الذكر، وفي المبحث الرابع: تناولنا إشكالات الموضوع وذكرنا الإجابة عنها. وقد ذكرنا في الخاتمة بعض النقاط المهمة التي خرجنا بها من خلال البحث.

المقدّمة

إنّ السنن الإلهية ـ التي تَعني مجموعة القوانين التي وضعها الله عزّ وجلّ في الحياة وجعل الكون خاضعًا لها وسائرًا على أساسها ـ وإنْ عُبر عنها في كلمات العلماء بأنّها: من الأمور الثابتة غير المتبدلة، والمستمرة غير المتوقفة عند زمان معين أو مكان محدد، إلّا إنّها في الواقع إنْ نظرنا إليها من زاوية تبعيتها لأسبابها ضمن القانون الكوني العام توصلنا إلى أنّ بعضًا منها ثابتٌ وسارٍ على جميع المخلوقات، ويصدق عليه عنوان الثبات والاطراد على سائر المخلوقات، كما في سنة التغير والتبدل الذي يطرأ على سائر المخلوقات، أو الفناء والموت الذي لم يستثن أحدًا من المخلوقين مهما كانت منزلته عند الله عزّ وجلّ وقربه منه، حتى إنّه تعالى خاطب نبيه ـ وهو أقرب المخلوقات إليه ـ قائلًا: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[1]. فلم يستثنِ أحدًا من هذا القانون الإلهي العام، بل كلّ مخلوقٍ لا بد أنْ يموت مهما طال به الأمد، ولكن إذا نظرنا إلى بعضها بالقياس إلى بعض وجدنا أنّ الصنف المتقدّم ذكره سارٍ في الكون وغير خاضعٍ للمتغيرات، بينما نجد بعض السنن التي تتبع الأسباب في تغيرها وتحولها يمكن إطلاق التغير والتبدل عليها والقول بأنّها تختلف وتتبدل من عصرٍ إلى عصر ومن مكانٍ إلى مكان، فالرزق والأمان والعمر الطويل وغيرها من الأمور إنّما تتبع الأسباب التي تؤثر فيها تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا؛ ولهذا فقد جاءت النصوص المشجعة على بعض الأفعال المؤثرة في هذه السنن، كما عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: "**إنّ الصدقة لتدفع سبعين بليةٍ من بلايا الدنيا مع ميتة السوء، إنّ صاحبها لا يموت ميتة السوء أبدًا مع ما يدخر لصاحبها في الآخر**"[2].

وبعبارةٍ أخرى: إنّ السنن الإلهية إذا نظرنا إليها بمجموعها وجدنا أنّها غير قابلةٍ للتخلّف عن أسبابها وعللها، وغير قابلة للتغيير والتأخر عن أسبابها، فمتى حصل السبب المؤثّر في وجودها وُجدت من دون تخلف ولا تأخر؛ وعندئذٍ أمكننا التعبير عنها بأنّها ثابتةٌ ومطرّدة، بينما إذا نظرنا إلى كلّ واحدةٍ منها نظرةً فرديةً صح التعبير عن بعضها أنّها متغيرةٌ وتابعةٌ لتغير السلوك الإنساني المؤثر فيها إيجابًا أو سلبًا، بخلاف بعضها الآخر الذي لا دخالة لأفعال الإنسان في وقوعه وتحققه، بل تكون جاريةً في المخلوقات مهما حاولوا الفرار منها.

وعلى هذا الأساس، فإذا علم الإنسان أنّ بعض السنن الإلهية تابعةٌ لتصرفاته وأفعاله، فسوف يدفعه ذلك إلى توفير الأسباب التي تؤثّر في تغيير مجرياتها في ضوء النظام الذي تخضع لها، ولا يتغلب عليه اليأس والاستسلام تحت يافطة التفكير السلبي الذي يستحوذ على الإنسان، فهذه إحدى الثمرات المترتّبة على معرفة الفرق بين السنن الثابتة والمتغيرة.

تمهيد

من الحقائق المهمة المتعلقة ببحثنا هي الحقيقة القائلة: إنّ السعي لتوفير الحياة الطيّبة من الأمور الفطرية لدى الإنسان، فإنّ بني البشر مهما تفاوتوا في مستوياتهم واختلفوا في نمط تفكيرهم ونظرتهم إلى الحياة إلا إنّهم يتّحدون في سعيهم لتوفير حياةٍ هانئةٍ وعيشٍ يُؤمِّن لهم الراحة المنشودة لدى نوع الإنسان، وإنْ كان لكلٍّ منهم نمطه المختلف وطريقته الخاصّة في فهم معنى السعادة والحياة الطيّبة، وفي الحقيقة فإنّنا ومن خلال الواقع الذي نعيشه نتوصل إلى أنّ جميع أفراد الإنسان يسعون إلى تحصيل الحياة التي يعيشون من خلالها في جوٍّ هانئ، وما يوفّر لهم الراحة النفسية المنشودة، فحتى الطفل الصغير حينما ينمو ذهنه ويتوسّع إدراكه لمعنى الحياة تجده يسعى للحصول على الحياة الطيّبة وفقًا لمدركاته البسيطة التي يتصوّر من خلالها حصوله على ما به سعادته، وهكذا تبدو المسألة أكثر وضوحًا في الإنسان حينما ينمو شيئًا فشيئًا، فيزداد سعيه وطلبه للحياة الطيّبة كلّما امتد به الزمن، وانفتح على العالم بشكل أكبر، وهنا يبدأ مفترق الطرق بين أبناء البشر، تبعًا للايدلوجية التي يؤمن بها؛ فمن كانت الحياة الدنيا غاية همّه فإنّه يحاول جاهدًا أنْ يؤمِّن سعادته فيها، وأمّا من امتدّ نظره إلى أبعد من ذلك؛ فحينئذٍ يسعى لتوفير السعادة بما يتماشى مع ما يعتقد به، ولهذا السبب وصف القرآن الكريم الإنسان بقوله: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**﴾[٣]. على ما ذكر بعضهم في تفسير الآية المباركة[٤]، كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**وإذا أذقنا الإنسانَ منّا رحمةً فرحَ بها**﴾[٥].

وفي المحصلة فيمكن الاستدلال على فطرية السعي لتوفير الحياة الطيّبة بالأمرين التاليين:

١. الحرص؛ فإنّ صفة الحرص ترجع في حقيقتها إلى طلب النفع والفائدة، بغض النظر عن كونها صفةً مذمومةً فيما لو زادت عن حدّها المقرّر لتُخرج صاحبها من التوكل على

الله، كما في بعض النصوص الدينية [٦]، فهذه الصفة الذميمة دليلٌ على حبّ الخير للنفس والسعي لتحصيل السعادة، وإنْ أدّى ذلك إلى الوقوع في الضرر نتيجة الحرص المفرط[٧]. ولا شكّ في أنّ الانسان الذي لا يؤمن باليوم الآخر ليس له هم سوى الحصول على العيش الرغيد الذي يؤمن له الراحة نفسية في هذا العالم، وهذا ما لا يحتاج إلى برهنة، وبسبب ذلك يتغلب عليه الحرص الشديد.

٢. حب الكمال؛ إذ إنّ هذه الصفة من الصفات الدالة بوضوح على فطرية حبّ الحياة الطيّبة والسعي لتوفيرها، كما أنّها من الصفات الممدوحة التي تُعد حافزًا مهمًّا في الإنسان للتغلب على الصعاب التي يواجهها في حياته؛ فإنّ حبّ الكمال والرقي هو السلوة الوحيدة التي تدفع بالإنسان نحو فعل ما يجلب له الخير وإنْ كان عملًا شاقًّا ومتعبًا، فحتى من يمارس الرياضات الجسمية إنّما يقوم بذلك لكي يحصل على النفع المترتّب على هذه الأفعال، وقد ذكر بعض الأعلام كلامًا حول هذه الحقيقة، بقوله: "... إنّ الإنسان مجبولٌ في بدو خلقته وأصل طبيعته على حبّ الكمال، واقتناء الخيرات واجتناب الشرور، وهو صبغة الله التي لا أحسن منها، وفطرة الله التي فطر الناس عليها"[٨].

والمهم في المقام هو الوصول إلى أنّ السعي لتوفير الحياة الطيّبة والحصول عليها من الأمور الفطرية التي لا يزهد بها أحدٌ من الناس كائنًا من كان، فإنّ الطبيعة البشرية تسعى لتحصيل الكمال، وبما أنّ الكمال يحقّق السعادة والحياة الطيّبة، فحتى الأنبياء والرسل والأولياء وكبار الزهاد والرهبان، إنّما يزهدون بالدنيا ابتغاء حصولهم على الكمال الذي يقرّبهم إلى الله ﷻ ويمنحهم الراحة النفسية (أو الحياة الطيّبة) بوساطة تغلّبهم على النفس الأمّارة بالسوء من جهة، والوصول إلى المراتب العليا والمقامات الرفيعة.

كما أنّ فكرة الإيمان باليوم الآخر التي يحملها الإنسان المعتقد بالديانات السماوية لا تتنافى مع السعي إلى طلب الحياة الطيّبة في الدنيا، شريطة ألّا تؤثر على مصيره في عالم الآخرة؛ لأنّ النصوص الدينية بأنماطها كافة – كالروايات وغيرها من الأدعية – جاءت لتعلّم العبد على طلب ما يُؤمّن له العيش الهانئ، بل حثت على السعي لتحصيله، وذمّت الأشخاص الذين لا يهتمون بهذا الجانب من الحياة، وهذا ما يفسّره قول الإمام الكاظم ﷺ: "**اعمل لدنياك**

كأنّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدًا"[٩]. وحينما نقرأ أدعية الأيام الواردة عن الامام زين العابدين ﷺ نجدها حافلة بهذه المعاني المهمة، كما في قوله ﷺ: "**اللهم اجعل أوّل يومي هذا صلاحًا، وأوسطه فلاحًا، وآخره نجاحًا، وأعوذ بك من يومٍ أوله فزع، وأوسطه جزع، وآخره وجع**"، وقوله ﷺ: "**اللهم اقضِ لي في الخميس خمسًا، لا يتّسع لها إلّا كرمك، ولا يطيقها إلّا نعمك: سلامةً أقوى بها على طاعتك، وعبادةً أستحق بها جزيل مثوبتك، وسعةً في الحال من الرزق الحلال، وأنْ تؤمنني في مواقف الخوف بأمنك، وتجعلني من طوارق الهموم والغموم في حصنك**..."[١٠]، وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تحثّنا على طلب الخير في الدنيا والآخرة.

وبين هاتين الصفتين ـ أعني: صفة الحرص وحبّ الكمال ـ يتأرجح أغلب أفراد الإنسان، كلٌّ حسب إدراكه وفهمه لمعنى الحياة الحقيقية.

ولمّا كانت الحياة الطيّبة تتوقف على عنصرين مهمين ـ وقد جعل الله عزّ وجلّ كلا هذين العنصرين بيد الإنسان ـ وهما:

الأول: الأفعال والأسباب التي توفر الحياة الطيّبة، والتي تكون بمنزلة المقتضي أو العلة التامة لتحققها، كما في أفعال الخير والعمل الصالح.

الثاني: التخلص من الموانع التي تقف عائقًا في طريق تحقق الحياة الطيّبة، وهي الأفعال السيئة التي لها دور في فقدان الحياة الطيّبة والتي حذرت منها النصوص الدينية.

لذا سيكون مصبّ حديثنا في هذا البحث حول تشخيص الموانع المؤثّرة في فقدان الحياة الطيّبة، وذلك ضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نظرة إلى معنى مفردات العنوان

المبحث الثاني: النصوص المحذرة من خطورة الإعراض عن الذكر

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الإعراض عن الذكر

المبحث الرابع: إشكالات الموضوع والإجابة عنها

الموضوع: ولمّا كان الإنسان يحرص على توفير حياة طيّبة ويسعى لتحصيلها ـ وفقًا لما أثبتناه في المقدمة المذكورة آنفًا ـ فمن الطبيعي أنْ تستوقفه المقولة التي اختيرت لأنْ تكون

عنوانًا لهذا البحث، ألا وهي (أثر الذنوب في فقدان الحياة الطيّبة)، لكي يتعرف على سبل التخلّص من هذه الموانع، وفي ضوء ذلك فالبحث يقع في المباحث الآتية:

المبحث الأول: نظرة إلى معنى مفردات العنوان

مع أنّ العنوان الذي صُدِّر به البحث يبدو واضحًا للوهلة الأولى من النظر إليه، إلّا إنّه من الضروري أنْ نلقي نظرةً سريعةً على المعنى التركيبي له، خصوصًا إذا أخذنا بنظر الاعتبار المعاني المتعدّدة لبعض مفرداته، كما في مفردة الحياة الطيّبة، فإنّ ذلك يحتّم علينا ذكر المراد من العنوان قبل الدخول في صلب البحث؛ ولذا فإنّنا نذكر الأمور التالية:

١. الأثر: إنّ المعاني المرادة من مفردة الأثر متعددة وكثيرة إلّا إنّ من معانيه المرتبطة ببحثنا هو ما ذكره بعض علماء اللغة من أنّه: "... ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف ..."[١١]. فيقال: "أثَّر فيه تأثيرًا: تَرَكَ فيه أثَرًا. والتَّأثيرُ: إبقاءُ الأثر في الشيء"[١٢]. فيتضح من ذلك أنّ الأثر لغةً هو ما ترك علامةً في الشيء الذي وقع عليه، سواء أكان الأثر ملموسًا ومشاهدًا بالحواس ـ كما في ضربة السيف والجراحات التي تكون في جسد الإنسان، وآثار الأقدام على الأرض وغير ذلك من الآثار المحسوسة ـ أم غير محسوسة كما في الصفات التي تكتسبها الأشياء المدركة نتيجة تأثرها بشيء آخر يحمل الصفات القابلة للانتقال، كالطبائع والصفات التي تنتقل من شيء إلى شيء آخر.

٢. الذنب: تُطلق مفردة الذنب ويُراد منها في اللغة الاتباع؛ ولذلك قالوا: إنّ الذنب في اللغة "ما يتبعه الذم، أو ما يتتبع عليه العبد من قبيح فعله؛ وذلك أنّ أصل الكلمة الاتباع"[١٣]، بمعنى أنّ الفعل السيئ له تبعةٌ قبيحةٌ تعقبه وتبقى تلاحق فاعله.

٣. الفقدان: عُرِّف الفقد بأنه: "عدم الشيء بعد وجوده، فهو أخصّ من العدم؛ لأنّ العدم يقال فيه وفيما لا يوجد"[١٤]. ومعنى ذلك أنّ الفقدان هو الحالة التي تكون للشيء الذي كان موجودًا ثم يفتقد نتيجة الأسباب المؤثّرة في انعدامه وضياعه.

٤. الحياة: ذكر بعض الأعلام أنّ الحياة تعني العيش[١٥]، وقد ذكر الراغبُ الأصفهاني عدة معانٍ للحياة قائلًا: "الحَياةُ تُسْتَعْمل على أَوْجُهٍ: الأولى: للقوَّةِ النامِيَةِ المَوْجودَةِ في النَّباتِ والحَيوانِ، ومنه قيلَ: نَباتٌ حيٌّ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ﴾. والثانية: للقوَّةِ

الحسَّاسةِ، وبه سُمِّي الحيوانُ حيوانًا. والثالثة: للقوَّة العاقلةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَو من كانَ مَيِّتًا فأَحْيَيْناه**﴾... والرابعةُ: عبارة عن ارتفاع الغمِّ... والخامسة: الحياة الأخرويَّة الأبديَّة، وذلك يتوصلُ إليها بالحياة التي هي العقل والعلم، ومنه قوله تعالى: ﴿**يا لَيْتَني قدَّمْت لحيَاتِي**﴾، يعني به الحياة الأخرويَّة الدائمة. والسادسة: الحياة التي يُوصَفُ بها البارِي تعالى، فإنَّه إذا قيلَ فيه تعالى: إنَّه حيٌّ فمعناه لا يصحُّ عليه الموتُ وليس ذلك إلاَّ لله تعالى"[١٦].

ولعل ضيق الأفق لدى بعض بني البشر والاقتصار في فهم الحياة على بعض هذه المعاني هي التي ولَّدت نظرةً مختلفةً تجاه الحياة بين أفراد المجتمع؛ فتجد معنى الحياة الطيّبة (أو السعيدة) مختلفًا بين مدرسة وأخرى، بل بين شخص وآخر أيضًا، وكلٌّ بحسب الفهم الذي توصل إليه ونظرته تجاه الحياة والهدف الذي لأجله خلق الإنسان، وهذا ما سوف نتناوله في المفردة الأخيرة من العنوان.

٥. الطيّبة: طيب الشيء هو ملائمته للغرض الذي يريده صاحبه منه[١٧]، وقد ذكر العلامة المصطفوي أنّ: "الأصل الواحد في المادّة: هو ما يكون مطلوبًا ليس فيه قذارة ظاهرًا ولا باطنًا، ويقابله الخبث وهو ما يكون فيه قذارة ظاهرًا أو باطنًا، وهو مستكره في نفسه. وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، فالطيب في كلّ شيء بحسبه وبمقتضاه: كالطعام الطيّب، وعيش طيّب، وزوجة طيّبة، وكلام طيّب، ومكان طيّب، وجنّة طيّبة، ونفس طيّب، ورائحة طيّبة، ورزق طيّب، وشجرة طيّبة، وصعيد طيّب"[١٨].

وبما أن الحياة الطيّبة وردت في الآية القرآنية؛ فلا بدّ من إشارةٍ مختصرةٍ إلى بعض ما ذكر في كتب التفسير، فقد ذكر الملا فتح الله الكاشاني في تفسيره قائلًا: "﴿**فَلَنُحْيِيَنَّه حَياةً طيّبة**﴾. في الدنيا يعيش عيشا طيّبا، فإنّه إنْ كان موسرًا فظاهر، وإنْ كان معسرًا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة، وتوقّع الأجر العظيم في الآخرة، بخلاف الكافر، فإنّه إنْ كان معسرًا فظاهر، وإنْ كان موسرًا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أنْ يتهنّأ بعيشه. وعن ابن عبّاس: الحياة الطيّبة الرزق الحلال. وعن قتادة: يعني بها في الآخرة. وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه"[١٩]. وقد دلت النصوص على أنّ هذه الحياة وإنْ كانت تحمل من اللذات والطيّبات ما لا يعدّ ولا يحصى، وأنّها لذات سائغة وجائزة للجميع ضمن القوانين

التي سنّها لنا الدين الإلهي، إلا أن في الواقع ليست هي المقصودة للإنسان، وإنّما يفترض على الإنسان أنْ يكون همّه ما يُؤمِّن مصيره في الآخرة التي عبّر عنها الباري عزّ وجلّ في قوله: ﴿وإنَّ الدارَ الآخرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ﴾(٢٠).

والنتيجة التي نخرج بها من مجموع ما تقدّم هو: أنّ معنى العنوان هو (ما يتركه الفعل المذموم من أثرٍ في إضاعة السعادة).

المبحث الثاني: النصوص المحذِّرة من خطورة الإعراض عن الذكر

ولمّا كان الدين الإسلامي دستورًا متكاملًا لتنظيم حياة الإنسان وسلوكه، فقد تصدّى لبيان كافة الجوانب التي لها علاقة بالإنسان منذ مبدأه إلى مآله؛ ولذا فقد جاءت النصوص الدينية لبيان الأثر السلبي المترتب على الإعراض عن الذكر؛ محذِّرةً من خطورة هذا السلوك، ومبينةً ما له من أثرٍ سلبي في تغيير مسار الإنسان وحياته الدنيوية والأخروية، وتأثيره في فقدان الحياة الطيّبة، وهذه النصوص هي:

أولًا: الآيات القرآنية

وردت مفردة الإعراض عن الذكر وما يرادفها من ألفاظ في كتاب الله ﷻ ضمن آياتٍ متعددة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٢١). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢٢). وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٢٣). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٢٤). وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (٢٥). وقوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعرَضَ أَكثَرُهُم فَهُم لَا يَسمَعُونَ﴾ (٢٦). وقوله تعالى: ﴿فَإِن أَعرَضُوا فَقُل أَنذَرتُكُم صَعِقَةً مِّثلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (٢٧). وقوله تعالى: ﴿قُل مَن يَكلَؤُكُم بِالَّيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحمَنِ بَل هُم عَن ذِكرِ رَبِّهِم مُّعرِضُونَ﴾ (٢٨). وقوله تعالى: ﴿مَّن أَعرَضَ عَنهُ فَإِنَّهُ يَحمِلُ يَومَ القِيَمَةِ وِزرًا﴾ (٢٩). وقوله تعالى: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلكِتَبِ

يُدعَونَ إِلَى كِتَبِ ٱللَّهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيق مِّنهُم وَهُم مُّعرِضُونَ﴾ (٣٠).

إلى غير ذلك من الآيات التي تضمّنت مفردة الإعراض أو ما يرادفها من مفردات مثل مفردة التولّي والنكوص وأشباهها.

دلالة الآيات المحذِّرة:

من الواضح أنّ الآيات المباركات تحذِّر العباد من الإعراض عن الذكر، وتبيّن لنا أنّ عواقبه وخيمة جدًا، وتبعث في نفوس القارئ عدة تساؤلات حول الحقائق التي لا بدّ من معرفتها في هذه الآيات، وقبل كلّ شيء فإنّنا إذا أردنا أنْ نكون في مأمنٍ من هذه النتائج التي ذكرت في الآيات المذكورة آنفًا فلا بدّ أنْ نفهم أولًا ما هو المقصود من الإعراض عن الذكر؟ وهذا ما سوف نسلّط الضوء عليه هنا:

معنى الإعراض عن الذكر

يمكننا ذكر بعض المحتملات في تفسير الآيات القرآنية:

المحتمل الأول: إنّ الإعراض عن الذكر هو عدم الأخذ بالقرآن وما جاء به من تحذير وإنذار، فإنّ كلمة الذكر يفهم منها القرآن الكريم، وبطبيعة الحال فإنّ المقصود من الإعراض عن الذكر بهذا المعنى يراد منه الإعراض عمّا تضمنه الذكر وما جاء به من رسائل البشارات والتحذير والإنذار، ويمكن أنْ نستدلّ لهذا المحتمل ببعض الآيات المباركة، كما في قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾** (٣١). وكذلك قوله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** (٣٢). وقوله تعالى: **﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾** (٣٣). وقوله: **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾** (٣٤). وكذلك بقية النصوص التي أشارت إلى تسمية القرآن بالذكر.

وقد وردت في هذا الصدد عن الأئمّة عليهم السلام نصوصٌ تدلّ على هذا المعنى، كما عن أبي بَصير قال: "**سَمِعتُ أبا عبدِ الله عليه السلام يَقولُ: مَن ماتَ وهُوَ صَحيحٌ موسِرٌ لَم يَحُجّ فَهُوَ مِمّن قالَ اللهُ عَزّ وجَلّ: ﴿ونَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أعمى﴾... قُلتُ: سُبحانَ الله! أعمى؟! قالَ: نَعَم، إنّ اللهَ عَزّ وجَلّ أعماهُ عَن طَريقِ الحَقّ**" (٣٥). وفي ضوء ذلك؛ فإنّ تطبيق الإمام الصادق لهذه الآية على من ترك فريضة الحج يدلّ على أنّ بإمكاننا تطبيقها على موارد أخرى تركها المكلَّف،

فقد طبقها الإمام الصادق عليه السلام: في رواية أبي بصير أيضًا قال: "**عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾. قال: يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، قال: يعني أعمى البصر في الآخرة؛ أعمى القلب في الدُّنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وهو متحيّر في القيامة...**" [٣٦]. فإنّ التطبيق المتعدّد للآية الكريمة يرشدنا إلى أنّ ما هذه إلّا موارد وأفراد تشملها مفردة الذكر، وإنْ اختلفت في مستواها شدةً وضعفًا.

المحتمل الثاني: ولمّا كانت كلمة الذكر قد وردت في الآية الأولى ـ وبعض الآيات الأخرى ـ منسوبةً إلى الله عزّ وجلّ فمن الممكن أنْ تجعل هذه النسبة المراد منها هو المعنى الآتي: أن الإنسان الذي يبتعد عن الله عزّ وجلّ سوف يكون في حالةٍ حرجةٍ لا تطاق؛ لأنّ مَن يبتعد عن الله لا يبقى له ملجأ يلتجئ إليه، وحتى الأشياء التي يخال له أنّها تنفعه وتخلّصه في الشدائد فإنها سرعان ما يتبدد أمله بها، ويتحوّل اعتقاده إلى العكس من ذلك، ويتوصل إلى أنّه كان في خيالٍ لا واقع له، ويمكن أنْ نستدلّ لهذا المحتمل بقوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [٣٧]. أو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ [٣٨]. وقوله: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [٣٩]. وكذا قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ [٤٠]. فهذه الآيات ونظائرها تبين أنّ المراد من الإعراض عن الذكر هو الابتعاد عن الله والالتجاء إلى ما سواه من الأسباب الموهمة بأنّها هي التي تجدي نفعًا، ومن دونها لا يمكن للإنسان أنْ يجتاز الأزمات والمحن التي تواجهه.

ثانيًا: الروايات الشريفة

إنّ النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في ذمّ التارك أو الناسي لذكر الله عزّ وجلّ كثيرةٌ جدا، وهي وإنْ لم يكن جميعها متضمنًا لمفردات موضوع بحثنا (الإعراض عن الذكر) بالصراحة، إلّا إنّها متّحدة مع ما ورد في الآيات الكريمة من حيث الآثار والنتائج المترتبة على هذا الفعل، فقد جاءت لتحذّر من خطورة ترك الذكر ونسيان الله عزّ وجلّ، وأنّ هذا الشيء يورث الحسرة والندم على الإنسان، وهذه المفردات، إلّا إنّها تصلح أنْ تكون مفسِّرةً للمراد

من الإعراض عن الذكر، وفيما يلي نذكر بعض النماذج منها ـ توخيًا للاختصار ـ وهي:

ما وصف به النبيّ ﷺ العبدَ الذي يحبّه الله ﷻ قائلًا: "... **وكرَّهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله**" (٤١). وما روي عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: "**فيما ناجى الله تعالى موسى**ﷺ: **يا موسى لا تنسني على كلّ حال، ولا تفرح بكثرة المال، فإنّ نسياني يقسي القلوب، ومع كثرة المال كثرة الذنوب**" (٤٢)، وروي عن أبي عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "**ما من قوم اجتمعوا في مجلسٍ فلم يذكروا اسم الله** ﷻ **ولم يصلّوا على نبيّهم** ﷺ **إلّا كان ذلك المجلس حسرةً ووبالًا عليهم**" (٤٣)، كما روي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ أنّه قال: "... **وأستغفرك من كلّ لذّةٍ بغير ذكرك**" (٤٤)، وعن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: "**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قومٌ ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم**" (٤٥). وغير ذلك من الروايات الكثيرة التي يطول المقام بنقلها.

المبحث الثالث: دلالة النصوص على فقدان الحياة الطيّبة نتيجة الإعراض عن الذكر

قبل الحديث عن الآثار المترتبة على الإعراض عن الذكر تجدر بنا الإشارة إلى المراتب المختلفة للحياة الطيّبة، فإنّنا إذا نظرنا إلى منزلة الحياة الدنيا بالقياس إلى عالم الآخرة فحينئذٍ سوف يتّضح لنا مرتبة الحياة الطيّبة في بالقياس إلى ما يتنعم به الإنسان في الحياة الآخرة، كما أنّ في كلّ عالمٍ من العالَمين الدنيوي والأخروي توجد مراتب ودرجات للحياة الطيّبة، فقد يعيش أحدهم حياةً يصدق عليها عنوان (الحياة الطيّبة)، إلّا إنّها أقلّ مراتبها ودرجاتها، فيما تجد غيره من الناس يعيش حياةً طيّبةً بأعلى مستوياتها الدنيوية ـ على كلّ المعاني التي تفسّر فيها الحياة الطيّبة في الدنيا، أي: سواء أفسرت بأنّها القناعة بما رزقه الله في الحياة الدنيا (٤٦)، أم الرزق الحلال الذي ينزله الله ﷻ على عباده (٤٧)، والذي عبر عنه تعالى: من غير احتساب (٤٨). أم غيرهما من المعاني التي ذكرت في تفسير الحياة الطيّبة ـ وبين هذا وذاك توجد مراتب متعددة، وتصبح هذه الحقيقة أكثر وضوحًا إذا نظرنا إلى ما تقدّم في حديثنا عن المعنى الحقيقي للحياة الطيّبة والأسباب المؤدّية إلى توفرها.

بعد هذه الديباجة المختصرة ندخل في صلب الموضوع، وهو الآثار المترتبة على الإعراض

عن الذكر والتي تؤدي إلى فقدان الحياة الطيّبة، وفي الواقع فإنّ الإعراض عن الذكر يترتب عليه آثارٌ فرديةٌ وأخرى اجتماعية، وفي كلّ قسمٍ منهما تارةً تؤدّي هذه الآثار إلى فقدان الحياة الطيّبة بشكلٍ مباشر، أو تكون سببًا في فقدانها بالواسطة، وذلك ما سوف نذكره في النقطتين الآتيتين:

النقطة الأولى: الآثار الاجتماعية

إنّ نظام العقاب الجماعي من الأنظمة العقلانية التي نشهدها في حياتنا بين حينٍ وآخر، وذلك حينما يصل الأمر إلى درجةٍ من الخطورة البالغة في العصيان تارة، أو يتوقع أنْ يؤول الأمر إلى التشجيع على الجرأة على سيادة من وجب علينا طاعته فيما لو لم يكن هناك رادعٌ يقف في وجه العاصي، وهذا النمط من العقاب قد مارسه الباري ﷻ لردع عباده عن ارتكاب المعصية التي قد تنتهي إلى إحدى النتيجتين السالفتين، ولذلك نجد الآثار الآتية:

١. انقطاع الرزق: فإنّ من العقوبات الإلهية على المجتمع المعرض عن الذكر أنْ يبتليه الله ﷻ بنقص الرزق وتبديل النعم، كما قال تعالى: ﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾ [٤٩]. بعد أنْ كانوا منعمين بجنتين كما في الوصف القرآني القائل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾ [٥٠]، فإنّ إعراضهم عن ربّهم وعدم شكرهم أدّى بهم إلى زوال نعمتهم وتبدلها بأشجار لا فائدة فيها، وقليل من السدر الذي فيه من النفع القليل أيضًا، ولكن هذا السدر قليلٌ من جهة وبالقياس إلى جنتيهم لا يساوي شيئًا ممّا فقدوه [٥١]، ولا شكّ في أنّ الحياة التي يعيشها المجتمع الذي تبدّل نعمته من الرخاء إلى الشدة والضيق في العيش لا تسمّى حياةً طيّبة، وهذا ما لا حاجة إلى التدليل عليه.

٢. وقوع العذاب الجمعي: فإنّ المجتمع الذي يعرض عن ذكر الله ﷻ يكون محلًا لوقوع النقمة الإلهية، ولا يستحق البقاء، وقد حكى الله تعالى في كتابه عن العذاب الدنيوي الذي وقع على مجتمعاتٍ كثيرةٍ في الأزمنة الغابرة، ومن بين الآيات التي حذّر الباري ﷻ من مغبة الإعراض هو قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [٥٢].

فإنّ إعراض هذين القومين أدّى بهم إلى الهلاك الجماعي بالصاعقة النازلة عليهم، وهذا الحدث يفقدهم الحياة الطيّبة على جميع المعاني المذكورة للحياة الطيّبة.

ومن خلال النصوص الروائية يستفاد أنّ هذه الأمة آمنة من العذاب الدنيوي الذي حلّ بالأقوام السابقة ما دام النبي ﷺ موجودًا في عالمهم، لكن مع رحيله ﷺ فقد رفع هذا الأمان، كما يعبر أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: "**كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رُفع أحدهما، فدونكم الآخر فتمسكوا به. أمّا الأمان الذي رُفع فهو رسول الله ﷺ. وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**" (٥٣).

وليس خافيًا فإنّ العذاب الجماعي في الدنيا قد يكون بوساطة هلاكهم تارةً، وأخرى بوقوع ظاهرةٍ عامةٍ تشمل سائر أفراد المجتمع، وهذا ما تضافرت فيه النصوص الكثيرة المحذّرة من ترك بعض الواجبات المهمة التي تؤدّي إلى تسلّط الظالمين عليهم، والاستيلاء على مقدراتهم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "... **لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم**" (٥٤)، ونظائرها من الروايات الكثيرة في هذا الشأن.

٣. فقدان السند الغيبي والوقوع في المحن: فمن الأمور التي لا نقاش فيها هو وجود محنٍ نقع فيها ونواجهها في حياتنا اليومية، ولا شكّ في أنّ السلوة الوحيدة للإنسان هو العامل الغيبي الذي يؤمن به فيتوجّه إليه لتخليصه من المحن، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿... **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا...**﴾ (٥٥)، ومن منا لم يشعر باللطف الإلهي في مواقف الشدة التي تمرّ عليه؟ وقد أخبر الله عزّ وجلّ أنّ المعرضين عن ذكر الله عزّ وجلّ يفتقدون هذا العنصر في حياتهم في كثيرٍ من الأحيان، بل حتى لو توجّهوا إلى بارئهم في ساعات المحنة وطلبوا منه الخلاص والعون فإنّهم يعرضون بعد ذلك، وحينئذٍ فلا يستجاب لهم فيما لو وقعوا في محنةٍ أخرى، وهذا ما يمكن استفادته من قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾ (٥٦). فحينما نسلّط الضوء على الآية المباركة نجد أنّ الاستدلال بها يكون من خلال عقد الإيجاب الذي أكده تعالى في قوله: حينما

يمرّ الإنسان بظروفٍ عصيبةٍ فلا يستطيع أي شيء إنقاذه من محنته وإنْ التجأ إليه باعتقاد أنّه مخلّصه إلّا الله ﷻ، فالحالة الحرجة التي يمرّ بها الإنسان لا يقوى على خلاصه منها لا الأموال ولا أيّ شيء آخر ما خلا الله تعالى، فحينما يفتقد الإنسان هذا العنصر الغيبي فسوف يكون في حالةٍ حرجةٍ لا يخلّصه منها غير الله، وبما أنّه لا يتوجّه إلى الله ولا يدعوه أو يطلب منه فيما لو كان معرضًا عنه تعالى فسوف يبقى في الشدّة والضيق الذي يمرّ به.

ومن خلال التعبير القرآني عن الحالة التي تمرّ على الناس في البحر نستفيد أنّها تتحدّث عن فقدان الاستقرار والطمأنينة الجماعية؛ فلهذا تصنف هذه الآية ضمن الآيات الدالة على الآثار السلبية للإعراض عن الذكر التي تؤدّي إلى فقدان الحياة الطيّبة بشكل مباشر.

وهناك آياتٌ أُخر يمكن الاستدلال بها على الآثار الاجتماعية المترتبة على الإعراض عن الذكر، إلّا أنّنا نكتفي بهذا المقدار من الآثار الاجتماعية مخافة الإطالة.

النقطة الثانية: الآثار الفردية

لعلنا لا نجانب الحقيقة إذا ادعينا أنّ العقوبات الفردية تكون أشدّ وقعًا وإيلامًا على الإنسان من العقوبات الجماعية؛ وذلك لأنّ الشخص الذي تقع عليه عقوبةٌ ما إذا شعر بأنّ هناك من يشاركه في المعاناة والألم فإنّ هذا بحد ذاته يخفف عليه من وقع المشكلة والمصيبة، وأمّا إذا شعر بالوحدة والتفرّد بالعقوبة والمشكلة فعندئذٍ سوف يكون ذلك مصيبةً ومعاناةً أخرى تضاف إلى ما هو فيه من مصيبة؛ وحينئذٍ يصعب عليه تحمّل عقوبة كهذه.

ومن خلال القراءة المتأنية في النصوص المتضمنة لمفردة الإعراض عن الذكر نجد أنّ هناك آثارًا سلبية يواجهها الفرد نتيجة إعراضه عن الذكر، وهذه الآثار تسهم في فقدان الحياة الطيّبة، أو حسب التعبير القرآني: تجعل نصيبه من العيش ما يوصف بقوله تعالى: ﴿**فإنّ له معيشةً ضنكًا**﴾، ولمّا كانت هذه النتائج والآثار لا تطال غير الفرد ذاته ـ ويبقى من حوله في مأمنٍ منها وإنْ كان من أقرب الناس إليه ـ أمكننا تسميتها بالآثار الفردية، وهذه الآثار هي:

أ-الآثار الفردية المباشرة لفقدان الحياة الطيّبة:

١-فقدان الحياة الطيّبة: فمن أوضح النصوص الدالة على أثر الإعراض عن الذكر في فقدان الحياة الطيّبة بشكل مباشر هو قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً**

﴿ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [٥٧]. والاستدلال بها يتوقف على ذكر الأمور التالية:

أولًا: المعنى المعيشة

من خلال الآيات التي تعرضت لمفردة المعيشة نفهم أنّ المعنى المنساق منها هو تارة الحياة الدنيوية، وأخرى الحياة الآخرة، وفي ثالثةٍ ما يعمّهما معًا بوساطة الإطلاق الذي يشمل كلا المعيشتين، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥٨]. وكذلك قوله تعالى حول التفاوت الطبيعي بين الناس: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [٥٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ*فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٦٠]، وفي ضوء الآيات المتقدّمة نستفيد أنّ المعيشة إذا وردت مقيدةً في جهةٍ من جهات الحياة حينها تكون صريحةً في إرادة المعنى المقصود منها، وإنْ وردت غير مقيدةٍ فنستفيد من إطلاقها على شمول كلا المعنيين، ولمّا كانت الآية الواردة في مقام الاستدلال مطلقةً فتشمل الحياة الدنيا والآخرة، وإنْ كان هناك ما يمكن أنْ يدل على صرفها إلى الحياة الدنيا، وهو ذكر الآثار الأخروية بعد التصريح بالعيش الضنك، ما يعني أنّ هذه المعيشة أريد منها المعيشة الدنيوية.

ثانيًا: المقصود من الضنك في اللغة

إذا رجعنا إلى المعنى اللغوي لمفردة الضنك نتوصل إلى أنّ معناه: "الضِّيقُ من كلّ شيء، الذكر والأُنثى فيه سواء" [٦١].

ثالثًا: آراء المفسّرين في معنى الآية

ذكرت عدّة آراء في معنى الآية الكريمة، ونحن نشير إليها بشكلٍ مختصر:

الرأي الأول: إنّ المراد من المعيشة الضنك ضيق حياته في عالم الدنيا، وقد ذهب إلى هذا الرأي أغلب كبار المفسرين كالقمّي في تفسيره، الطبرسي وغيرهما [٦٢]؛ وذلك؛ لأنّه "غير موقن بالخلف، فعيشه منغّص"، وقد نسب هذا الرأي إلى ابن عبّاس [٦٣]، وهو لا ينفي أنْ يكون العيش الضنك في عوالم أخرى أيضًا، إلا إنّ المهم هو إثبات أنْ يكون العيش الضنك ممكنًا في الدنيا، على عكس من لم يتعقل إمكانية انطباق المعيشة الضنك في الدنيا.

الرأي الثاني: إنّ المراد من المعيشة الضنك هو عذاب القبر، وذلك: "لقوله تعالى: ﴿**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ**﴾ يقتضي أنّه عذاب القبر"، وهذا ما قاله أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وأبو صالح، والسدي، ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ[٦٤].

الرأي الثالث: إنّ المراد من قوله تعالى: ﴿**مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾، هو عذاب جهنم وما يأكله فيها من ضريع وزقوم؛ لأنّ مآل الإنسان المعرض عن ذكر الله ﷻ إلى جهنم وإنْ تنعّم في الدنيا[٦٥].

وهناك آراء أخرى قد ترجع إلى بعض الآراء السابقة في حقيقتها فلا داعي لذكرها.

وبعد هذه النقاط فإنّنا نخلص إلى أنّ المعيشة الضنك سوف يمرّ بها المعرض عن ذكر الله ﷻ على كلّ الأقوال، وهي على الضدّ من الحياة الطيّبة، فتصلح أنْ يطلق على هذا الأثر أنّه من أوضح الآثار المترتبة على الإعراض عن الذكر.

٢-شموله بالعقوبة الأخروية: فإنّ من الآثار المباشرة التي تفقد الإنسان الحياة الطيّبة هو وقوع في العذاب، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وِزْرًا**﴾[٦٦]. فإنّ الوزر معناه الثقل، أي: يحمل حملًا ثقيلًا من الإثم والذنوب يشقّ عليه حملها[٦٧]، ولا شكّ في أنّ الإنسان إذا كان بهذه الحال فإنّه لا يكون في حياةٍ طيّبة.

ب . الآثار الفردية المسبّبة لفقدان الحياة الطيّبة:

١-ملازمة الشيطان له: من الآثار الخطيرة التي تُفقد المعرض عن الذكر في نهاية المطاف الحياة الطيّبة هو أنّ الشيطان يصبح ملازمًا وقرينًا له، كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾[٦٨]. فإنّ هذه الآية الكريمة يمكننا أنْ نستدلّ بها على مجموعةٍ من الآثار السلبية المترتبة على الإعراض عن الذكر، ومن أهمّها وأوضحها فقدان الحياة الطيّبة، فإنّ من يكون الشيطان قرينًا له سوف ينكد عليه عيشته؛ ولذا فقد حذّرنا الله تعالى من اتخاذ الشيطان؛ لأنّه عدو للإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿... **إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[٦٩]، ولا شك في أنّ الذي يكون عدوه قرينه ومرافقًا له فسوف يهلكه ويوقعه في المخاطر، وهذا الشيء سوف يفقده الحياة الطيّبة التي يحتاج إليها كلّ إنسان.

٢-الحرمان من الهداية: من الطبيعي جدًّا أنْ يحتاج الإنسان إلى التعلّم والمعرفة مهما بلغ من

العلم، وهذا القانون يسري على جميع البشر إلّا من أخلصهم الله لنفسه وعلّمهم من علمه، وبما أنّ العلم والمعرفة يتبعان الأسباب المتكونة من وجود المقتضي ورفع المانع؛ فإنّ من أهمّ الموانع التي تقف دون الحصول على المعرفة هو الإعراض عن الذكر، كما يقول تعالى: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾** (٧٠).

٣-يحشر يوم القيامة أعمى: إنّ نعمة الإبصار من النعم الإلهية التي لا يدرك معناها حقّ الإدراك والمعرفة إلّا من فقدها، فلو تخيّل أحدنا أنّه لا يملك هذه الحاسّة ولو للحظاتٍ قليلةٍ حينها يعرف قيمتها، ويكفينا أنْ نغمض أعيننا دقائق قليلة ونتحرّك من مكانٍ إلى آخر لندرك مرارة فقدان هذه الحاسة، ولأهمية هذه الحاسّة فقد أخبرنا الله (عزَّ وجلّ) أنّ من يعرض عن الذكر سوف يحشر يوم القيامة أعمى، فقال: **﴿... وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾** (٧١). حتى أنّ الإنسان ولشدّة غرابة الموقف الذي يمرّ به يعترض على الله أو يتساءل مستفسرًا بقوله: **﴿... رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾** (٧٢)، فهذه الحالة تسلب الإنسان الحياة الطيّبة أو العيشة الراضية.

٤-الشمول بقانون الإهمال والتجاهل: هناك حالة يلمسها كلّ واحدٍ منّا في حياته، وهي قسوة الإهمال والتجاهل، فإذا دخل أحدنا إلى مكانٍ ووجد أنّ الحاضرين لم يعيروا له اهتمامًا بالمستوى المناسب فحينئذٍ سوف ينتابه شعور بالإهانة، وهذا الأمر الذي يشعر به حتى لو كان الاهتمام دون المستوى، فكيف إذا أحسّ بالتجاهل والإهمال التامين الذين يجعلاه كالمعدوم بينهم؟ فإنّ هذا الشعور يكون في أعلى مستوياته، وسوف يفقده الراحة والاستقرار، ويحاول أنْ يغادر المكان الذي أُهين فيه بهذه الطريقة البشعة، ولكن الأنكى في الأمر إذا وجد نفسه غير قادرٍ على ترك المكان وأنّه مضطرٌ إلى البقاء في هذا المكان إلى الأبد، وسوف يلازمه هذا الإهمال والتجاهل طول حياته، فإنّه يموت كمدًا، وهذا ما يواجهه المعرض عن الذكر حينما يقول له الباري جلّ وعلا: **﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾** (٧٣).

إنّ إثبات هذه الآثار من خلال الآيات المباركة يغنينا عن البحث في الآثار المترتبة على

الإعراض عن الذكر أو نسيان ذكر الله ﷻ في الروايات الشريفة لعائدية ما ذكر فيها إلى هذه الآثار التي ذكرناها في هذا المبحث.

المبحث الرابع: إشكالات الموضوع والإجابة عنها

بعد أنْ انتهينا من الحديث عن أثر الذنوب في فقدان الحياة الطيّبة ولاحظنا أنّ هناك مجموعةً من الآثار المؤدّية إلى هذه النتيجة الخطرة يبقى لدينا بعض الإشكالات التي تواجه القارئ، وفيما لو لم يجد إجابةً وافيةً لها فسوف تمنعه من الإيمان بهذه الحقيقة، فلا بدّ من ذكرها والإجابة عنها لنرى هل أنّ هذه الإجابات مقنعةٌ ووافيةٌ لإبطال هذه الإشكالات أو أنّها غير مجدية، وهذه الإشكالات هي:

الإشكال الأول: إنّ الواقع الخارجي يتنافى مع النظرية التي ذُكرت في هذا البحث، إذ إنّ المجتمعات التي تعصي الله ﷻ ـ كما في المجتمع الغربي والذي أعرض عن الدين وعن التكاليف الإلهية ـ متنعمة في الحياة الدنيا، ومن هذا المنطلق فقد ذكر بعض المفسّرين أنّ المعيشة الضَنْك إنّما تكون في القبر، وهذا ما ذهب إليه مَن يُعد من كبار مفسّري بعض المدارس، كمجاهد [٧٤]، وقد عدّ بعضهم هذا المعنى أوْلى من بقية المعاني وأظهر منها، مستدلًّا بالأمور التي عليها الكافر والعاصي في الحياة الدنيا [٧٥].

وقد ذكر العلّامة الطباطبائي هذا الإشكال قائلًا: "وقيل: المراد بالمعيشة الضَنْك عذاب القبر وشقاء الحياة البرزخية بناءً على أنّ كثيرًا من المعرضين عن ذكر الله ربما نالوا من المعيشة أوسعها، وألقت إليهم أمور الدنيا بأزمتها؛ فهم في عيشةٍ وسيعةٍ سعيدة..." [٧٦]. فمهما بلغ من العيش الرغيد والسعة في الرزق إلّا أنّه يعاني من ضَنْك العيش وألوان الحرص والقلق والهموم والعذاب النفسي في أمور دنياه التي لا همّ له في سواها[٧٧]

الجواب عن الإشكال: إنّ المعاني التي يمكن تصوّرها للمعيشة الضَنْك تارةً تكون على أساس المعايير المادية والمقاييس الظاهرية، وأخرى تعود إلى ما هو أعمق وأدق من ما يشاهده الإنسان من مظاهر مغرية يمتلكها بعض الناس، ولا شكّ في أنّ كثيرًا من الناس الذين يبدو حالهم في نعيمٍ ظاهري حينما تطلع على حالهم تجدهم يعانون من ضيق العيش والضَنْك الذي لم يمرّ به أسوأ المعدمين من الناس، وهذا ما تؤكّده النصوص الدينية، فقال

تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (٧٨)، كما تبين أنّ العامل الوحيد ذكر الله ﷻ: ﴿... **أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (٧٩)، وقد ذكر العلّامة الطباطبائي في صدد الإجابة عن هذا الإشكال قائلًا: "... وفيه أنّه مبنيٌّ على مقايسة معيشة الغني من معيشة الفقير بالنظر إلى نفس المعيشتين والإمكانات التي فيهما، ولا يتعلّق نظر القرآن بهما من هذه الجهة البتة، وإنّما تبحث الآيات فيهما بمقايسة المعيشة المضافة إلى المؤمن وهو مسلح بذكر الله والإيمان به، من المعيشة المضافة إلى الكافر الناسي لربّه المتعلّق النفس بالحياة الدنيا، الأعزل من الإيمان، ولا ريب أنّ للمؤمن حياةً حرةً سعيدةً يسعه ما أكرمه ربّه به من معيشة وإنْ كانت بالعفاف والكفاف أو دون ذلك، وليس للمعرض عن ذكر ربّه إلّا عدم الرضا بما وجد والتعلّق بما وراءه"(٨٠).

الإشكال الثاني: في ضوء التفريق بين الوعد الإلهي والوعيد نخلص إلى النتيجة التالية: وهي أنّ هذه النتائج التي ذكرت للإعراض عن الذكر لا يمكن أنْ تكون حتمية؛ لأنّها من الوعيد الإلهي الذي لا يجب على الله أنْ يفي به، بخلاف الوعد الإلهي الواجب الوفاء به من قبله تعالى، كما هو مُقرّر في محله (٨١)، وإذا لم تكن حتميةً فمن الممكن ألّا يترتب الأثر الذي توعّد الله ﷻ به المُعرِض عن الذكر.

الجواب عن الإشكال: يمكن الإجابة عن هذا الإشكال بعدّة نقاط:

الأول: من خلال النصوص الدينية ووفقًا لما قُرّر في كلمات العلماء نتوصل إلى أنّ ليس كلّ وعيدٍ لا يجب الوفاء به، فهناك نمطٌ من الوعيد الواقع والمتحقّق من دون شكٍّ ولا ريب كما لو قرن بالتأكيد من الله ﷻ على وقوعه وحصوله، سواء من خلال إحدى أدوات التأكيد كما يقول تعالى: ﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ (٨٢). وكذلك قوله تعالى: ﴿**فإنّ له معيشةً ضنكًا**﴾. أو بالتصريح بأنّ ما يرتكب من ذنبٍ لا يمكن غفرانه، كما في قوله تعالى: ﴿**إنّ الله لا يغفر أنْ يُشرك به**﴾ وفي هذه الآثار التي ذكرت قد جاء التأكيد على بعضها من جانب كما في الأداة التي تم استخدامها في الجملة أي أداة التوكيد (إنّ) فقال تعالى: ﴿**فإنّ له معيشةً ضنكًا**﴾. بل إنّ الإعراض عن الذكر هو عبارةٌ عن الكفر والشرك

الـذي صرّحـت الآيـة الكريمـة بأنّـه لا يغفـره الله ﷻ.

الثـاني: إنّ كثيرًا مـن النتائـج التـي ذكرهـا الله تعـالى هـي أثـرٌ تكوينـي للإعـراض عـن الذكـر، وليـس مـن الوعيـد الإلهـي لكـي يـأتي احتـمال عـدم ترتـب الأثـر عـلى هـذا الفعـل الـذي حذّرنـا الله تعـالى منـه. خصوصًـا إذا أخذنـا بنظـر الاعتبـار الـرأي القائـل: إنّ العقوبـة ليسـت هـي سـوى تجلّيـات الأعـمال يـوم القيامـة، ولا شيء وراء هـذه الآثـار يـوم القيامـة، وعـلى هـذا الأسـاس فـإنّ كلّ عمـلٍ سـوف يتجسّـد عـلى حقيقتـه يـوم القيامـة.

الخاتمة

بعد أنْ أكملنا مشوارنا في هذا البحث استطعنا أنْ نجيب عن السؤال التالي: ما هي العلاقة بين الذنوب وفقدان الحياة الطيّبة؟ وقد وجدنا أنّ للذنوب أثرًا كبيرًا في فقدان الحياة الطيّبة، وذلك بعد أنْ عرفنا معنى الذنوب والحياة الطيّبة، وبعد أنْ جمعنا النصوص المحذّرة من خطورة الإعراض عن الذكر والذي يعدّ من الذنوب التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم في آياتٍ متعددةٍ ذكرت الآثار المتعددة والمؤدية إلى فقدان الحياة الطيّبة، وقد كانت هناك إشارة في الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى هذا الفعل المؤثّر سلبًا في الحياة التعيسة، كما عرفنا أنّ هناك بعض الشبهات التي لا ترقى إلى مستوى الإشكال على هذا الموضوع وأنّ علماءنا قد أجابوا عنها بأجوبةٍ وافية.

الهوامش

١- الزمر/ ٣٠.
٢- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٤/ ٦.
٣- المعارج/ ١٩.
٤- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ٢٠/ ١٣.
٥- الشورى/ ٤٨.
٦- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١/ ٢١.
٧- م.ن، ٢/ ٢٨٩، و٢٩٠.
٨- البروجردي، حسين، تفسير الصراط المستقيم، ٣/ ٦٥.
٩- الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ٣/ ١٥٦.
١٠- الصحيفة السجادية، أدعية الإمام زين العابدين، ٥٥٤ وما بعدها.
١١- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ٢/ ٥٧٥.
١٢- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، ٦/ ٧.
١٣- العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ٢٤٤.
١٤- م.ن، ص٤٠٩.
١٥- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ٤/ ١٤٤.
١٦- الراغب، الحسين بن محمد، المفردات في غريب الحديث، ١٣٩.
١٧- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ٣/ ١٧٥.
١٨- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ٧/ ١٥١.
١٩- الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير، ٣/ ٦٠٦.
٢٠- العنكبوت/ ٦٤.
٢١- طه/ ١٢٤.
٢٢- الزخرف/ ٣٦.
٢٣- الإسراء/ ٦٧.
٢٤- الكهف/ ٥٧.
٢٥- سبأ/ ١٦.
٢٦- فُصِّلَت/ ٤.
٢٧- فُصِّلَت/ ١٣.
٢٨- الأنبياء/ ٤٢.
٢٩- طه/ ١٠٠.
٣٠- آل عمران/ ٢٣.
٣١- الحجر/ ٦.

٣٢- الحجر/ ٩.
٣٣- الأنبياء/ ٥٠.
٣٤- الزخرف/ ٤٤.
٣٥- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٤/ ٢٦٩.
٣٦- م.ن، ١/ ٤٣٥.
٣٧- البقرة/ ١٥٢.
٣٨- الأحزاب/ ٤١.
٣٩- البقرة/ ٢٠٣.
٤٠- ص/ ٣٢.
٤١- النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، ٨/ ٤٦٤.
٤٢- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٤٩٨.
٤٣- م.ن، ص٤٩٧.
٤٤- الصحيفة السجادية، أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، ٤١٩.
٤٥- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٣٥١
٤٦- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ١/ ٣٩٠.
٤٧- الطوسي، محمد بن الحسن، البيان في تفسير القرآن، ٦/ ٤٢٤.
٤٨- كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾. الطلاق/ ٢-٣.
٤٩- سبأ/ ١٦.
٥٠- سبأ/ ١٥.
٥١- الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، ٣/ ٩٥.
٥٢- فُصِّلَت/ ١٣.
٥٣- خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة، ٤/ ١٩.
٥٤- م.ن، ٣/ ٧٧.
٥٥- التوبة/ ٤٠.
٥٦- الإسراء/ ٦٧.
٥٧- طه/ ١٢٤.
٥٨- القصص/ ٥٨.
٥٩- الزخرف/ ٣٢.
٦٠- القارعة/ ٧.
٦١- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٠/ ٤٦٢.
٦٢- أُنظر: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ٢/ ٦٥. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، ٢/ ٥٠٦. الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير، ٤/ ٢٨٦. وغيرها من المصادر التفسيرية.

٦٣- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ٧/ ٢١٩.
٦٤- م.ن.
٦٥- أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، ٧/ ٦٤.
٦٦- طه/ ١٠٠.
٦٧- أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ٧/ ٢١٩. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، ٧/ ٦٤.
٦٨- الزخرف/ ٣٦.
٦٩- يس/ ٦٠.
٧٠- الكهف/ ٥٧.
٧١- طه/ ١٢٤.
٧٢- م.ن/ ١٢٥.
٧٣- م.ن/ ١٢٦.
٧٤- ابن شهرآشوب، محمد بن علي، متشابه القرآن ومختلفه، ٢/ ٩٩.
٧٥- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٦/ ٢٨٣.
٧٦- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ١٤/ ٢٢٥.
٧٧- الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط، ٢/ ١٥٥٧.
٧٨- آل عمران/ ١٤٠.
٧٩- الرعد/ ٢٨.
٨٠- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ١٤/ ٢٢٥.
٨١- الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، ٧/ ١٩٧. المدني، علي خان، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، ١/ ٥٠٢.
٨٢- الأنعام/ ١٣٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
* الصحيفة السجادية.
* ابن شهرآشوب، محمد بن علي، متشابه القرآن ومختلفه، الناشر: شركت سهامى طبع كتاب، ١٣٢٨هـ.
* البروجردي، حسين، تفسير الصراط المستقيم، تحقيق : صحّحه وعلّق عليه: الشيخ غلام رضا ابن علي أكبر مولانا البروجردي، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ١٤١٦ - ١٩٩٥ م.
* الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
* الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير.
* الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط٢، الناشر: دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤هـ.
* الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ - ١٩٩٤م.
* الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق : تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
* الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
* الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي، ط١، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ.
* الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: تقديم: الشيخ خليل الميس/ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، بيروت ـ لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
* الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ط٢، الناشر: مرتضوي، ١٣٦٢ ش.
* العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٢هـ.
* القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، قم ـ إيران، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ.
* الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير، تحقيق: مؤسسة المعارف، ط١، قم ـ إيران، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤٢٣هـ.
* الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران، الناشر: دار الكتب الإسلامية ، ١٣٦٣ ش.
* المدني، علي خان، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، ط٤، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.
* المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط١، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ.
* النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، بيروت ـ لبنان، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م.